فلسطين عروس عروبتكم

فسيفساء

obeikandl.com

obeikandl.com

نار موقدة ..

جمر يتأجج ويتوهج ..

حاولنا يا رب قدر ما نستطيع أن نقبض عليه بأيدينا .. فانتقل أوار الجمر المتوهج إلى قلوبنا .. وسرى اللهيب مسرى الدم في عروقنا ..

كلما حاولت الكتابة اكتشفت أن حروف الكلمات ناقصة .. فما من حرف منها تنطق مخارجه بصرخة اللوعة المكنونة في القلب ..

أما من حرف جديد لم ينطقه قبل ذلك أحد كي يعبر عن ألم لم يشعر به قبل ذلك أحد؟!.

وكلما حاولت الكتابة اكتشفت عجز الكلمات وعجزي .. ذلك إنني لا أريد كلمات تُقرأ أو تصب حروفها من رصاص حتى لو انصهر الرصاص .. أو تتشكل من وحدات البايتات (Bytes) على شاشة باردة لجهاز كمبيوتر محايد .. لا تختلف استجابته باختلاف الكلمات فلا يفرق بين الدم والماء ولا بين الجمر والثلج ولا بين الخيانة والعمالة في جانب وبين البطولة والاستشهاد في جانب آخر ..

أما من كلمة جديدة لم يكتبها قبل ذلك أحد كي تعبر عن قهر لم يشعر به قبل ذلك أحد؟

كلما حاولت الكتابة ذابت الحروف وتلاشت الكلمات تحت وطأة المشهد الذي لا يغادر القلب أبدا .. مشهد محمد الدرة ورأسه الحبيب البريء يتفجر بالرصاص فيسقط .. أما جسد أبيه فيهتز تحت الزخات حتى يغيب عن الوعى ..

آآآه يا بنى ..

هل أستطيع أن أصوغ كلماتي بينما زخات المدافع تهز جسدي، فأستعمل فيها بدلا الحروف طلقات الرصاص كي ترد عن ابني الشهيد -محمد الدرة- الموت أو حتى تثأر لموته ..

فإن عجزت، فهل أستطيع أن أضع بدلا من الحروف عيونا مفقوءة وأشلاء منزوعة، وعوضا عن الكلمات جماجم مثقوبة وأمخاخا متناثرة متبعثرة ومكان الجمل أجساد الشهداء .. أصفّها بنظام كما ينبغي للجمل أن تُصفّ ..

هل أستطيع أن أضع مكان الفقرات مدنا تقصفها الدبابات ؟

هل أستطيع أن أضع مكان علامات الترقيم قطرات دم؟ أنهار دم؟ شلالات دم؟ وكيف أضمن ألا يغطى طوفان الدم كل ما كتبت؟ ..

آآآه يا وطني ..

كانت قنوات الجزيرة وأبو ظبى تذيع ذلك الفيلم المروع عن مذبحة دير ياسين ..

كانت جدتي - نعم جدتي وأمي - العجوز تتحرك بين الأنقاض والأشلاء وتروي ..

كانت تتجرع وأتجرع معها غصص الموت والذل والمهانة وخيبة الأمل في الأشقاء ..

والله لو لم يكن في تاريخنا سوى دير ياسين لكفتك يا أمة العرب عارا وشنارا حتى أبد الآبدين ..

وكان ثمة منزل ثقبت جدرانه ثقبا هائلا أحدثته قذيفة دبابة .. استشهد رب البيت على الفور .. احترق كل شيء .. الأثاث والجدران والأرض .. كان الدمار في البيت مروعا .. وكان كل شيء أسود .. عدا لافتة معلقة على الجدار .. كان المكتوب عليها: «الله .. محمد» .. وكانت مائلة .. لم تسقط بعد .. وكانت بقية الكلمات مغطاة بالسناج ..

كان هناك أم شهيد تسير في جنازته .. لم تكن تبكى .. وكانت تصرخ أنها شرفت باستشهاده وستشرف أكثر باستشهاد إخوته وجميع أقاربه وهى على رأسهم .. وكان هناك في الجنازة شاب يحمل في يده طلقة رصاص هائلة الحجم .. لم أر طلقة رصاص بحجمها في حياتي .. قال المذيع أنها رصاص البنادق الثقيلة التي يطلقونها على أطفال الانتفاضة ..

وكان الشيخ التميمي على قناة الجزيرة يصرخ مذكرا مصر بغزو التتار عندما أرسل أمراء الشام شعور نسائهن إلى سيف الدين قطز مستنجدا به أن يغيث العرب والمسلمين .. فأغاثهم .. كان يستنجد بمصر أن تنقذ العرب والمسلمين في فلسطين ممن هم أسوأ وأكثر وحشية من التتار .. وكانت مصر تقول وتكرر ما تقول أن خيار السلام هو الخيار الوحيد .. وكان الجبن يلبس ثياب الحكمة .. وكان باراك يرد التحية بصفعة ..

هل كانت تلك الرصاصة الضخمة هي التي استخرجت من جسد الشاب الشهيد ..؟

.. لم يخبرنا المذيع بذلك .. ولا أخبرنا زميله هل كانت الرصاصة التي قتلت ابني الشهيد - محمد الدرة - في حجم هذه الرصاصة ؟.

لماذا لم تذع باقي قنواتنا الفضائية هذه المشاهد؟ .. لماذا؟؟ لماذا يا قاهرة ويا كويت على وجه الخصوص؟!.

لماذا يا قاهرة ؟.

هل لأن هذه المشاهد تكشف عار وكذب نخبة مثقفيك وكبار كتابك الذين يحيطون بالسلطات - أيا كان السلطات - فتستكتبهم في أكبر الصحف بأضخم الأبناط والعناوين ليزيفوا وعى الأمة وليهدروا دماء الشهداء فمعظمهم لم يكف عن الكتابة الحكون حيث انسالت من ألسنتهم النجسة وشفاههم المخمورة أحاديث إفك من نوع أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم بل إن كبيرا من كبارهم لم يتورع طيلة الأعوام الماضية أن ينطق اسم فلسطين ساخرا بل فاجرا:« فلس وطين»، وهؤلاء هم أعداؤك يا أمة، وهؤلاء هم الصهاينة العرب، وهؤلاء هم الذين يحيطون بحكامك يصبون السم في آذانهم، ثم إن حكامك لا يحبون غيرهم ولا يقربون سواهم، وهؤلاء هم الذين يتوارون الآن، لا خجلا، وإنما يكمنون في أوكارهم كما تكمن الحية الرقطاء يجهزون سما آخر، في اتجاه آخر، فلماذا يا قنوات تليفزيون القاهرة لم تذيعي ذلك الفلم المروع الرهيب كي يكشف صفاقة السفهاء.

وهنيئا لك يا قناة الجزيرة، أن هذه الحيات الرقطاء بدأت تبث سمومها تجاهك، فتتناول بالهجوم والاتهام مذيعيك، ولتضع بين الاسم الأول والأخير اسما صهيونيا، حتى أحمد منصور وفيصل القاسم، والله يعلم والأمة تعلم أن من كتبوا ذلك هم الصهاينة، وأن هذا الهجوم يعلق على صدرك يا قناة الجزيرة وساما غاليا، ويكشف كم كانت تغطيتك لأحداث الانتفاضة موجعة للصهاينة وخدم الصهاينة وعبيد الصهاينة وعملاء الصهاينة وكم أزاحت في أيام قليلة أكداس الزيف الذي يصبونه في عقول الأمة منذ ثلاثين عاما على الأقل .. أزاحتها كما يزيل طوفانٌ طَهُورٌ أكداس القذارة والدنس.

ولقد كنا أول من انتقد في الجزيرة أخطاءها، لكنهم الآن يريدون من الجزيرة أن تتوب عن أعظم إنجازاتها وليس عن أخطائها. ذلك الإنجاز المبهر في حشد الشارع العربي والإسلامي.. وفي حشر معظم ولاة أمورنا.. حيث تتفق مصالحهم مع باراك وكلينتون ..

لكم جللني العار وأنا أقرأ الهجوم المسعور ينطلق على ساحات الصحف ضد

القناة وضد الشيخ يوسف القرضاوي يواكبه سعار هجوم حاخام إسرائيلى على قناة الجزيرة وعلى العلامة الشيخ يوسف القرضاوي ..

برح الخفاء ..

والعيب ليس عيب الكتاب بل مس وضعهم في مكانهم فاتضعوا لكى يكونوا صوته وسوطه ..

العيب عيب من ..

***

تكلمت عن الكتّاب ..

ويجب أن أتحدث عن الحكام الذين يصطفونهم ..

ولكن ..

***

لا بد أن أتوقف ..

لأن كل الكلمات التي يمكن أن أكتبها الآن وكل الاتهامات التي ينبغي أن أطلقها قد توقع أي صحيفة في عالمنا العربي - رغم أنها حق - تحت طائلة سيف القانون .. القانون الأمريكي أو الصهيوني الذي يحكم جل بلادنا ..

***

فلننتقل إذن إلى ألم آخر وجرح آخر .. ولأجعل من الألم فسيفساء كي نتجرعه لونا .. لونا ..

ففي نفس الوقت الذي كانت ففيه الفضائيات تنقل أحداث الانتفاضة راحت تنقل أيضا أحداث انتفاضة الانتخابات في أشمون المصرية .. الجنود نفس الجنود .. والحجارة ذات الحجارة .. والأطفال ذات الأطفال حتى لقد كدت ألمح بينهم محمد الدرة ..

المنهج أيضا كان ذات المنهج والبيانات كانت نفس البيانات .. وكان أطفال الحجارة في مصر هم الذين استفزوا رجال الشرطة الأبرياء فاضطروهم إلى إطلاق الرصاص وقنابل الغاز عليهم ..

وراحت عيناي تبحثان في خلفية الصورة عن شارون ..

***

أيضا .. نفس الشيء حدث منذ شهور في أزمة الوليمة .. وكان الجنود هم نفس الجنود .. والطلبة هم ذات الطلبة .. والحجارة هي عين الحجارة .. وكان شارون مصري يجترئ على المقدسات فلا يرده أحد ..

نفس الشيء .. والعلاقة وثيقة بين الأحداث هنا وهناك .. والنتيجة في النهاية واحدة ..

قلت لنفسي أن الرصاص الذي يقتلنا في مصر والرصاص الذي يقتل الفلسطينيين واحد .. والقنابل واحدة وتدريب الجنود واحد .. والمنهج أمريكي صليبي ..

***

المنهج واحد .. فمن يخون الله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يكون وفيا لأمته ..

المنهج واحد .. فمن يكذب على الله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يكون صادقا مع أمته ..

المنهج واحد .. فمن يكفر بالله والقرآن الكريم والرسول لا يمكن أن يؤمن بقضية أمته أو وطنه أو قوميته أو أن يدافع عن قضية فلسطين ..

المنهج واحد ..

شكل واحد له عشرات الانعكاسات والظلال والنتائج ..

نعم ..

الدفاع عن الكفر .. والتخلي عن فلسطين .. وفشل مؤتمر القمة .. وتزوير الانتخابات .. والاعتقالات .. والتعذيب .. والطغيان .. والفساد .. وهدم مؤسسات المجتمع المدني .. وتخريب البلاد وتزييف الوعى وتضييع الأمة جميعا من أجل أن يطمئن الحكام الطغاة والطواغيت ليستقروا ويستمروا كلها ظلال لشيء واحد ..

***

في قاعة محكمة الجنايات كان المستشار يحيى الرفاعي- شيخ القضاة وضمير العدالة في مصر والذي يعمل الآن بالمحاماة- قد جاء للدفاع عني وعن مجدي حسين .. كنا

نحاكم لأننا اعتدينا على وزارة الثقافة في مصر!! .. تماما كما اعتدى أطفال الحجارة في أشمون وفلسطين على جنود الأمن والصهاينة!! ..

كانوا قد أتوا بالأسير مجدي حسين رئيس تحرير صحيفة الشعب الأسيرة من محبسه .. كان القيد في يديه .. والتفت إلى الجلاد الذي يصطحبه راجيا إياه أن يوسع من القيد قليلا فقد جرح يده .. ونظر إليه الجلاد نظرة رأيت فيها عيني ذئب غادر .. عيني شارون آخر .. ورفض .. ونظرت إلى الجرح .. وتأكدت أنه يمتُّ بصلة قرابة وثيقة لذلك الجرح الذي رأيته في غرة محمد الدرة.

***

بعد تأجيل القضية، اصطحب الجلاد أسيره .. ودونما اتفاق لم نتحدث - أنا والمستشار الكبير- عن جرح مجدي حسين وجرحنا .. كنا نتحدث عن الجرح العربي .. عن الانتفاضة .. عن التخاذل العربي .. وعلاقة ذلك بالكتاب الخطير الذي أصدره المستشار الكبير بعنوان« استقلال القضاء .. ومحنة الانتخابات» والصادر عن المكتب المصري الحديث ..

كان الرجل الجليل يحمل هم الأمة في قلبه الكبير .. كنت أسأله كيف استطاع أن يظفر بإجلال كل فئات الأمة في مصر .. كل الفئات .. حتى من السلطة رغم أنه لم ينتم أبدا إلى حزب ولا سلطة .. وكان يحدثني عن منهج التزمه طول حياته .. أن يعامل كل قضايا الفكر كما يتعامل القاضي مع قضية معروضة أمامه فلا ينحاز إلى طرف قبل استعراض جميع الآراء .. ثم يصدر في النهاية حكما لا يبتغي به إلا وجه الحق .. كان يحدثني عن أسباب الانهيار في عالمنا العربي .. وكانت ملامح وجهه تتقلص بالألم .. ورفع يده ليضعها على صدره ..

في المساء كنت أقرأ في كتابه: « آن الأوان لكي تغسل مصر عن اسمها عار تزوير الانتخابات، وهي فاحشة اشتهرت بها بين الأمم، فنالت من مكانتها ومكانة شعبها بين شعوب الأرض قاطبة» .. وكتب ينتقد الاعتداء على الدستور وخرق القانون: «بأساليب ممقوتة .. جمّدنا حزبا وصادرنا صحفه، وحبسنا من نشاء» .. «ولكن في بلاد العالم الثالث لا يسمح السلطان لرعاياه بمجرد الأمل في وجود إنسان غيره .. » ويحذر عبر الكتاب من ثغرات سوف تؤدى إلى تزوير الانتخابات رغم إشراف القضاء.

صباح اليوم التالي كنت أهاتفه كي اطمئن عليه .. لم يكن في منزله .. دهمته أزمة

في القلب .. نقلوه إلى المستشفى .. وقرروا ضرورة إجراء جراحة عاجلة في القلب ..

***

رحت أتأمل موقف بعض الكتاب والنخب في العقد الأخير ..

لقد كان الذين أيدوا سحق العراق ووقفوا مع الحلف الأمريكي الصهيوني هم بأنفسهم الذين وقفوا مع الاجتراء على الذات الإلهية والمقدسات .. ومرة أخرى كانوا هم بذواتهم الذين تحالفوا مع الحاخام ليسبوا الشعب الفلسطيني وقناة الجزيرة والشيخ يوسف القرضاوي.

في كل مرة يحتشد فيها الرأى العام ينفثون سمهم لإجهاضه ..

في كل مرة يحاولون تشتيت الانتباه عن القضية الرئيسية ليجرونا إلى قضايا فرعية .. لا يكفون عن الكذب فيها ..

والدم الفلسطيني يسيل أنهارا

وخونة الطابور الخامس المدعمين - بل والمحركين - من الحلف الصهيوني الأمريكي لا يتورعون عن مهاجمة فلسطين ..

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..

نار .. وجمر .. ولهيب ..

هل كان رأس الطفل المسلم العربي الفلسطيني سامح هو الذي تفتت بعد أن انفجرت الرصاصة المحرم استعمالها فيها انفجارا هائلا لم يبق داخل الجمجمة إلا هيكلها العظمى بعد أن تناثرت أجزاء مخه كله لم يبق منها شيء ..

هل كانت رأسه فقط؟ ..

أم كانت رأسي أنا أيضا تنفجر لتتناثر أجزاء مخي كلها إذ أطالع على شاشة التلفاز ذلك الواقع الرهيب المروع بينما أسمع في ذات الوقت خنزيرا إسرائيليا يصرح بأن الأسر الفلسطينية لا تحب أبناءها لذلك تدفعهم إلى التظاهر كي يموتوا .. ولأسمع

بعدها بدقائق خنزيرا من السويد يقول أن هناك في هذا العالم أسر تبيع أبناءها للدعارة .. وأن الأسر الفلسطينية تبيع أبناءها للانتفاضة ..

آآآآه ..

ينوء تحت القهر والغضب كاهلي ..

قهر وغضب أطول بكثير من عمري الذي تجاوز نصف قرن .. يتجاوزه لتمتد جذوره عبر القرون وإخوة القردة والخنازير من اليهود والصليبيين يفعلون بنا الأفاعيل ..

آآآه ..

هل كان رأس سامح -ابني الشهيد - وحده هو الذي انفجر أم انفجر رأسي أنا أيضا وأنا أرى مجلس شيوخ بنى قريظة وأرناط وريتشارد ونابليون وكرومر وجورو وكلينتون يجتمع ليدين أطفال الحجارة وليؤيد خنازير الصليبيين خنازير اليهود الذين أطلقوا الرصاص المحرم على ابني سامح ومحمد الدرة، وأطلقوا قذائف الدبابات على المنازل وطاردوا أطفال الحجارة وقصفوهم بالطائرات ..

هل كان صوت تناثر الأشلاء أم صوت خرير الدم أو نزيف الكرامة والعقل والدين إذ راح بعض أدعياء الحضارة والاستنارة والتغريب فينا يعلموننا كما يعلم القواد بغيا بعض فنونه: « يجب أن نقنع الغرب بعدالة قضيتنا » .. « بعض أعمال الفلسطينيين تضر بقضيتنا في الغرب .. » .. « الاعتداء على المدنيين .. » .. «الإرهابيون والأصوليون .. » .. « .. أوروبا .. » .. « .. أميريكا .. » .. وكأنما كل هذه الدماء والأشلاء والظلم والألم لم تكن كافية لإقناع سادتهم ومثلهم الأعلى في الغرب .. وكأنهم لم يمتلكوا أبدا من عموم الدين والعقل والجغرافيا والتاريخ .. أو حتى من الكرامة والنخوة ما يعرفهم أن ما يحتاجه الغرب منا ليس مزيدا من الإقناع .. ما يحتاجه الغرب منا رسالة من ملك أو رئيس أو أمير تقول بعض سطورها:

«من فلان الحاكم العربي إلى كلب اليهود أو كلب الغرب ...»

وليست السطور الباقية تهمًا .. !! ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع قوة تخيف لا حجة تقنع ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع اقتناعا بأننا يمكن أن نضره ونؤذيه كما يضرنا ويؤذينا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع إنقاص عشر معشار إنتاجنا من البترول .. واذكروا كيف وصل العالم لحد النفاق والتملق عام ١٩٧٣ ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع امتناعا عن استيراد سلاحه المبرمج كي لا يقتل إلا مسلما ولا يحارب إلا شعوبنا العربية والإسلامية ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع زعيما لا يقول صديقي كيسنجر بل عدوي .. ولا يقول الراعي النزيه بل العدو الحقيقي الكريه ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع ملكا يقول : إن أمريكا هي إسرائيل وإسرائيل هي أمريكا .. وأننا سنعد لهم من القوة مثلما أعدته الجزائر لفرنسا وفيتنام لأمريكا والشيشان للروس ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع رئيس يقول لهم أننا نصدق ما قاله جلوب باشا: إن مشكلة فلسطين لم تبدأ في عام ١٩٤٨ ولا حتى منذ وعد بلفور بل منذ جاء الإسلام .. ولأن المعركة معركة الإسلام فلابد أن يقودها الإسلام.

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع حاكما يقول لهم : إننا نفهم أن إسرائيل ليست سوى حاملة طائرات ضخمة للغرب .. ورأس حربة غرسها في قلبنا .. وأننا نكره أن نحاربه .. لكن عليه أن يسحب حاملة طائراته وأن ينزع رمحه .. فإن لم يفعل فإننا سوف نقاتله على كره منا ولكن بحرص على الاستشهاد يعادل حرصه على الحياة .. وأننا ندرك أن النصر لنا .. لأننا نمثل الحق والعدل والخير بينما يمثل هو الشر والخراب والدمار ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع أن يدرك أننا سنقدم عشرة شهداء .. بل مائة شهيد مقابل كل مجرم جبار عتل زنيم نقتله منهم.

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يتحول حجر الانتفاضة إلى قنبلة، ومقلاعها إلى صاروخ ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يدرك أننا كففنا عن تصديق طابوره الخامس بيننا والذي يدعونا إلى الانتظار طويلا كي نأخذ بأسباب قوة لن نحصل عليها أبدا في ظل وكلائه علينا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يدرك أننا كففنا عن تصديق طابوره الخامس بيننا والذي ما ينفك عن تشتيت جهودنا في معارك فرعية مختلقة ومكذوبة لا أشك لحظة

واحدة أن تفاصيلها قد حيكت وصدرت جاهزة لهم من أضابير الموساد والـCIA ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع هو أن يعلم أننا كففنا عن ترديد أن السلام هو خيارنا الوحيد .. لأن من يجعل ذلك شعاره يخسر الحرب والسلام معا ..

ما يحتاجه الغرب منا لكى يقتنع أن يقتنع الحكام جميعا أن كل كلمة تقريظ لهم من الغرب ليست وسام فخار بل وصمة عار عليهم أن يبذلوا كل الجهد للتبرؤ منها .. أو أن تحاكمهم شعوبهم بتهمة الخيانة والانحياز لعدو ..

***

هل كان رأسي أنا هو الذي ينفجر إذ أقرأ لكتاب من جلدتنا إذ راحوا هم أيضا يهاجمون الفلسطينيين لأنهم تحت وطأة الموت والحصار والدمار وخيبة الأمل يهاجمون - بالحق أو حتى بالباطل- رئيس هذه الدولة أو تلك ممن ظنوهم سيمدون يد المعونة إليهم فإذا بأيديهم تمتد لمصافحة قاتليهم .. انطلقت أقلام أبناء جلدتنا غير آبهة بالنار والجمر واللهيب وبالجرح في غرة محمد الدرة وبمخ سامح الذي لن يعثر عليه بين الأشلاء أحد أبدا .. استهانت بذلك كله لتدافع عن زعيمها .. وليتها اكتفت بذلك .. بل عادت إلى عادتها القديمة اللئيمة الخائنة لتستهين بل ولتنكر تضحيات الشعب الفلسطيني كله مرددة أراجيف الخنازير .. تجاهلت استشهاد ٣٠٠٠٠٠ فلسطيني .. أي أكثر من ٥٪ من الشعب كله قد استشهد ليس دفاعا عن الأرض والعرض فقط .. بل دفاعا عن الإسلام والعرب والمسلمين .. ٥٪ من الشعب .. أي ما يعادل أكثر من ثلاثة ملايين مصري أو ١٣ مليون عربي أو ٦٥ مليون مسلم .. دفع الفلسطينيون ضريبة الدم والشهادة .. ليمتهن بعض كتابنا كل ذلك .. ليتحولوا من كتاب إلى قردة ترقص على طبول الغرب ... هؤلاء أيضا هم أعداؤك يا أمة .. ولقد حسموا أمرهم منذ زمان طويل ليصدق قول الشاعر فيهم:

كلاب للأعاجم هم ولكن .. على أبناء جلدتهم أسود

***

مثل هؤلاء الكتاب نار أخرى وألم آحر ونزيف آخر ..

وليست كوارثنا مقصورة على مشاكل التخلف والحكام والهزيمة فقط .. بل إن مثل هؤلاء الكتاب يشكلون خطرا على الأمة لا يقل عن خطر الأعداء .. بل إن خطرهم أشد وأنكى ..

إنهم كديدان الطفيليات الكامنة التي تستولي على غذاء الجسد حتى يتهاوى فتنهشه في النهاية ..

وفي الأسابيع الأخيرة عندما أعلنت إسرائيل المجرمة الحرب على شعبنا في فلسطين بالطائرات والدبابات .. لم تكن غاراتها هي الغارات الوحيدة .. ففي بلادنا أيضا كان ثمة حلف آخر انطلقت غاراته لتقصف الإسلام والمسلمين ..

وكما أن لدى إسرائيل جنرالات فقد كان لدينا نحن الآخرين جنرالات من الكتاب .. وكانوا هم الآخرين يشنون غاراتهم ..

يشنون غاراتهم لكي يتسع خرق الأمة على الراتق ..

وظاهرة الكتاب الجنرالات ظاهرة عجيبة في بلادنا .. إذ فجأة تتفق أجهزة الإعلام على أن كاتبا معينا هو كاتب كبير .. تحيطه بهالة من العظمة والمجد .. فلا يعرف القارئ كيف أصبح هذا الكاتب كبيرا ولا لماذا .. ولا يجرؤ حتى على التساؤل .. إن الكاتب الكبير عميق جدا وفيلسوف حتى أذنيه لذلك من الصعب على القارئ العادي فهمه .. ويستمر الكاتب الكبير .. لا يقرأ له أحد .. ومع ذلك تتسابق كبريات الصحف على نشر مقالاته .. ولا يشتري أحد كتبه .. ومع ذلك تتنافس دور النشر على نشرها .. فلكأنما صفة الكاتب الكبير رتبة كهنوتية محاطة بالطلاسم والأسرار .. لا يجرؤ على مواجهتها والتصدي لها سوى الإرهابيين والأشرار والكفار ..

أو لكأنما رتب الكتاب كرتب الجيش والشرطة .. يصدر بها مرسوم من القائد الأعلى .. فهل يستطيع العساكر أو الدهماء والقراء أن يسحبوا من اللواء رتبة اللواء أو من المشير رتبة المشير؟! ..

لم يكن جنرالات إسرائيل وحدهم هم الذين يقصفون ..

كان جنرالاتنا أيضا يقصفون كل طريق إلى وحدة الأمة وتكاتفها ..

ورغم الهالات الضخمة التي تحيطهم سلطات بلادهم بها فإن رؤوس معظمهم فارغة .. ومعظمهم تثير العودة إلى تاريخه الوظيفي الدهشة والعجب .. فمن سائق أو ساع أو موظف أرشيف أو عامل سجاد إلى رئيس تحرير أو كاتب كبير .. وليس لأحد منهم فكر ولا فلسفة ولا منطق .. يرددون كالببغاوات ما يقوله الأعداء عنا أو ما يملى عليهم من أجهزة الأمن المخترقة في بلادهم ..

ولقد كان من أذكى - ولا أقول وأخبث - ما فعلته قناة الجزيرة بهم عندما اشتد

هجومهم عليها أن استضافت نماذج منهم ..

كان أكبر انتقام منهم إظهارهم على الشاشة .. فعوراتهم في أفواههم ..

هؤلاء الكتاب الكبار ليسوا صناعة محلية فقط .. فالمراسيم التي تقضى برسمهم كتابا كبارا تأتى من الخارج أيضا .. من نفس الجهات التي جعلت من سلمان رشدي وتسليمة نسرين وعلاء حامد وحيدر حيدر كتابا كبارا .. وجعلت كلينتون يقابل سلمان رشدي لا لشيء سوى أنه كفر وفجر فسب الرسول ﷺ..

إن المعلومات الصحيحة أمامهم .. لكنهم يعافونها ..

لطالما تساءلت وأنا أتابع هؤلاء الكتب ومعاركهم الوهمية التي يشقون بها قلب الأمة ويهيلون التراب على عوامل وحدتها متلمسين كل فرصة لبث الفتنة بين أطرافها لصالح أعدائها هل هم جهلة إلى الحد الذي لا يعرفون فيه أبجديات التاريخ .. أم هم أغبياء للدرجة التي لا يفهمون بها هذا التاريخ ؟. أم أنهم ببساطة خونة ؟. فإذا كانوا خونة .. كيف تسمح لهم بعض الحكومات بأن يكونوا كبار كتابها الرسميين ..

وهل الأمر كما يقول الكاتب الكبير - حقا وصدقا - برهان غليون أن الدولة في مجتمعاتنا العربية أصبحت تخون الأمة ..

***

لكم اشتد إحساسي بالعار وهذه الأقلام تنطلق من القاهرة ..

فلكم أساءت إلى القاهرة حكومة وشعبا ..

لقد ظنت هذه الأقلام الخئون أن مصر في ورطة وأنها في حاجة لمبرر كي تتنصل من مسئوليتها الدينية والقومية والوطنية فبادروا بتقديم هذا المبرر .. وادعوا زورا وباطلا أنهم يدافعون عن مصر وقيادتها .. ولم يكونوا يدافعون .. بل كانوا يهينون .. كانوا يدافعون عن الصهاينة والأمريكيين .. ورمونا بدائهم وانسلوا .. ليتركوا لنا عار أن مثلهم محسوبون علينا ..

***

تحية من مصر الحقيقية .. ومن العرب .. ومن المسلمين .. لقناتي الجزيرة وأبي ظبي الفضائيتين .. لنقلهما أحداث الانتفاضة إلى كل بيت .. فكشفتا العورات .. وعرتا السوءات .. ومسحتا عنا بعض عار الإعلام العربي ..